الأدب الإفريقي الحديث

تمهيد:

إنّ الأدب الإفريقي الحديث هو الأدب الذي أدرك عصر النهضة، وكتب بلغات أجنبية كان للمستعمر الفرنسي أو الإنجليزي، أو البرتغالي أو غيرها من المستعمرات يد في ترسيخها سعيا للقضاء على اللغات الإفريقية، فهو شمل إذا كل أدب كتب باللغة الفرنسية، والإنجليزية، والبرتغالية، وفيما يأتي تفصيل لكلّ منها:

1/ الأدب المكتوب بالفرنسية :

انتشرت الفرنسية بين المثقفين الأفارقة الذين نشؤوا في المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي، أو الذين تلقوا تعليمهم في فرنسة، ونجم منهم بعض الكتاب الذين حازوا شهرة كبيرة، وكانت الكتابات التي نشرها بعض مستكشفي القارة ومستعمريها والمبشرين مقدمة لمجموعة من المؤلفات التي تصف القارة وسكانها، وفي طليعتها» :رحلة تومبكتو ودُجينة (1830) «لرونيه كاييه René Caillé، ثم بدأت تظهر بعض كتابات الأفارقة أنفسهم من أمثال عثمان سوسيه من السنغال، وبول هازومي Paul Hazoumé من داهومي، ورونيه ماران من غينيا الذي كان في طليعة الكتاب الأفارقة الذين جابهوا الاستعمار وكشفوا عن مخاطره وأعماله، وعدّ مؤلَّفه» باتولا «الفائز بجائزة غونكور الأدبية (1921)بداية حقيقية للأدب الإفريقي المكتوب بالفرنسية.

أسهمت الدراسات الخاصة بعلم السلالات وتكون الأمم) الإثنولوجية (في ازدياد تمسك الأفارقة بماضيهم، واعتزازهم بأنفسهم، وتقديرهم لتراثهم وتقاليدهم في داخل القارة وخارجها فنشر د. جان برس مارس كتاب» هكذا تكلم العم «في هاييتي (1928)وكان لعمله هذا أثر كبير في تعميق تلك المشاعر لدى الزنوج وازداد هذا الأثر عمقاً مع نشر بيان المثقفين الأفارقة» الدفاع الشرعي عن النفس (1932) «وصدور صحيفة» الطالب الزنجي «في باريس (1934)التي تولى تحريرها ليوبولد سيدار سنغور Senghorمن السنغال وليون غونتران داماس من غويانا وإيميه سيزير Césaireمن المارتنيك، فنشطت حركة الأدباء الأفارقة وازدهر نتاجها، فأصدر داماس» الأصباغ(1937) «، وكتب سيزير »دفتر العودة إلى الوطن(1939) «، ونشر سنغور »أغاني الظلام.(1945) « وكانت محاولات التخلص من سيطرة المستعمر الأبيض في مقدمة العوامل المنشطة للنتاج الأدبي الغزير في هذه المدة، وقد أصدر هؤلاء الثلاثة مجلة» الوجود الإفريقي (1947) «التي تعد أول مجلة أدبية إفريقية تصدر بالفرنسية، وكان لها أثر ظاهر في إذكاء فكرة الزنوجة التي نادى بها كثير من الأدباء الأفارقة.

ضم الجيل الثاني من الأدباء مجموعة من الكتاب الذين بدأت مؤلفاتهم تظهر في الخمسينات مثل مونغو بيتي Mongo Betiوفرديناند أيونو Ferdinand Oyonoوسمبين عثمان Sembene Ousmaneوجبريل تامسير وجان مالونفة ونازي بوني الذين دعوا إلى تأكيد الهوية الأدبية الإفريقية من دون تعصب للزنوجة، ويعد الشاعر الكونغولي تشيكايا أوتامسي Tchicaya Utamsiأهم ممثلي هذا الاتجاه، كما

يعد مونغو بيتي أبرزهم في ميدان القصة، ويتجلى ذلك في روايته» مسيح بومبا الفقير (1956) «وكذلك فرديناند أيونو في قصصه» حياة صبي (1956) «و»صبي البيت (1966) «و»الوسام (1967) «التي ترمي إلى تسفيه فكرة فَرْنَسَة إفريقية الغربية.

أما الأدباء الأفارقة الشباب الذين ظهرت أعمالهم في مرحلة مابعد الاستقلال فقد أثاروا المشكلات الناجمة من التفاوت الكبير بين البيئتين الغربية والإفريقية، كما هو الشأن في رواية» المغامرة الغامضة «للشيخ حميدو كان Hamidou Kane – 1961)ويتجه بعض الكتاب إلى تصوير الأوضاع المضطربة في بلادهم بعد استقلالها مثل أحمد كروما في روايته» شموس الاستقلال «وكمارا لاي Camara Layeفي روايته» دراموس (1966) « التي يهاجم فيها تسلط الحزب الحاكم في غينيا.

أما المسرح فقد كانت بداياته متواضعة تجلت في مسرحيات صغيرة تروى حكايات شعبية، وتجسد التقاليد الإفريقية الأصيلة، وتوجه . في كثير من الأحيان . نقداً لاذعاً لأنظمة الحكم الوطنية مثل مسرحية» مأساة الملك كريستوف «لسيزير (1964)و»الرئيس «لمكسيم دبيكا (1970)و السكريتير الخاص لجان بليا .(1973)

2/ الآداب المكتوبة بالإنكليزية:

تعدّ الكتابات التي نشرت في إنكلترة، والتي كتبها أفارقة بيعوا هناك أو ولدوا عبيداً ثم اعتقوا، من أوائل ماكتبه الأفارقة بالإنكليزية ومن ذلك رواية «الإفريقي» (1789) التي تحكي حياة ألودا أكيانو أو غوستاف فاشا ومغامراته، وهي أول سجل كتبه إفريقي عن وطنه الأصلي.

وفي القرن التاسع عشر، ومع انتشار المدارس التبشيرية، نشر بعض الأفارقة أعمالهم بالإنكليزية في موطنهم الأصلي ومنهم صموئيل أدجاي كروثر وأفريكانو هورتون وإدوارد بليدن.

وفي مطلع القرن العشرين كتب وزير العقائد الغاني الثائر كارل كريستيان رايندروف Carl Christian » Reindorfتاريخ ساحل الذهب وأشانتي» (1911) وأفاد فيها من التراث الإفريقي الشفوي. كما كتب في السنة نفسها جوزيف كاسلي هايفورد» Joseph E.Casely- Hayford إثيوبية غير المقيدة»، وهي مزيج من القصة والسيرة الذاتية، وبشر فيها بظهور حركة الزنوجة.

وكان من نتائج الحركة الأدبية التي نشطت في باريس منذ الثلاثينات أن صدرت في نيجيريا مجلة «بلاك أورفيوس « Black Orpheusالتي عنيت بنشر أعمال الكتاب الأفارقة المكتوبة بالفرنسية مترجمة إلى الإنكليزية، وفي مطلع الستينات برزت في نيجيريا حركة معارضة لأسلوب سنغور المغالي في المثالية، وأصبحت الأحوال مواتية للتخلي عن نهج الكتاب الأفارقة الذين يكتبون بالفرنسية، وكان وول سوينكا Wole Soyinka في طليعة الدعاة إلى هذا الاتجاه، فازداد نتاج الأدباء الأفارقة بالإنكليزية، ونشرت عدة روايات ودواوين شعرية تتناول المشكلات الناجمة من اضطراب الأوضاع السياسية بعد الاستقلال، وتنتقد الأوضاع السائدة في المستعمرات الإنكليزية القديمة، وتنبه على

خطر المبشرين الأوربيين.ومن أبرز كتاب هذه المرحلة: الروائي النيجيري شينوا آتشيبيChinua Achebe ، وتعد رواية «الأشياء تسقط منفصلة» (1958) من أفضل أعماله، وألكس لاغوما من جنوب إفريقية، وتعكس أعماله القصصية روح النضال ضد التفرقة العنصرية، والشاعر الأوغندي أوكوت بيتيك الذي خصص معظم قصائده الطويلة لانتقاد الواقع السياسي في بلاده بعد الاستقلال، والشاعر الغاني كايبر منسا الذي حاز جائزة المارغريت الأدبية (1970)، وغيرهم كثير من الكتاب والأدباء الذين يكتبون بالإنكليزية.

ويضاف إلى هؤلاء مجموعة أخرى كبيرة من الأدباء الأفارقة الزنوج الذين وطنوا أمريكة أو استوطنوها ويعد أدبهم في عداد الأدب الأمريكي لدى معظم الدارسين .

3/ الأدب الإفريقي المكتوب بالبرتغالية:

ما زال معظم النتاج الأدبي المكتوب بالبرتغالية بعيداً عن التناول، فلم يشتهر منه سوى أعمال قليلة، وكان الكتاب الأفارقة في البرتغال قد أسسوا عام 1948 تجمعاً أدبياً وبدا هؤلاء الكتاب متأثرين بأسلوب سنغور في مؤلفات ماريو دي أندراد Mário de Andrade الذي يعّرف الشعر الإفريقي المكتوب بالبرتغالية في كتابه «مختارات من الشعر الزنجي بالبرتغالية» (1958) وأنطونيو جاسينتو وأوغوستينو نيتو Agustino Netoوكذلك القصائد التي نظمها شعراء موزامبيق والرأس الأخضر وساوتومة.

كما برز في ميدان القصة كل من خوسيه كرافيرينا Jose Craveirinaha ولورنزو مركيز مابوتو Lourenco Marques Maputoولويس برناردو هونوانا.Luis Bernando Honwana

وعلى العموم فإن مجمل النتاج الأدبي الإفريقي يُظهر أن جل الكتاب الأفارقة المعاصرين واقعون تحت تأثير تيارين قويين، يتمثل أولهما في محاولة تعميق الارتباط بجذورهم، والثاني في خلق لغة خاصة تتصف بالشمولية والعالمية في آن واحد كما يتبدى في أعمال جان بليا وفيليكس كوشورو وفرانسي بيبي ورونيه فيلومبي، وقد أشار الكاتب الكونغولي دونغالا إلى هذه الخصائص فذكر أن الأدب الإفريقي في إبان الاستعمار اتصف بالشمولية في مستوى القارة، ثم بدأت تتضح بعد الاستقلال الصفات النوعية المميزة لكل بلد أو مجموعة عرقية، بيد أن القاسم المشترك بين مختلف أدباء القارة إنما يتجلى في انشغال الأدباء الأفارقة بالتصدي للمشكلات الكثيرة التي تواجه هذه الدول الفتية، وتطبع آدابها بطابعها.

المصادر والمراجع:

– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط1، 1989.

– فؤاد الكعبازي، قراءات في الشعر العالمي، الدار العربية للكتاب،(دط)،1984.

– بديع حقي، قمم في الأدب العالمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،(دط)،1987.